المقتطف

الجزء السادس من السنة الحادية عشرة

١ آذار (مارس) ١٨٨٧ = الموافق ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

الحرب

(تابع ما قبلهُ)

النبذة الثانية

في جيوش القدماء وسلاحهم وذكر بعض مواقعهم المشهورة

اذا كان القوم في حال البداوة كان كل رجلٍ منهم مقاتلاً بين المقاتلة فيخرجون للقتال ويتبعهم النساء والشيوخ والاولاد لنقل الزاد واعداد الاهبة وتدبير ما يستطيعون تدبيرهُ في ساحة الوغى . فتكون كل القبيلة جيشًا مقاتلاً . ثم اذا شرعوا في الحضارة وانتظمت احوالهم بعض الشيء خرج الرجال المقتدرون للقتال وتخلَّف الشيوخ والنساء والاطفال في المنازل لرعاية المواشي وحراثة الارض وزراعتها . فبتألُّف الجيش من رجال القبيلة المقتدرين يتقدَّمهم مشائخهم وابطالهم المجرَّبون في القتال . كذا كان اقدم الجيوش المحاربة التي ورد ذكرها في التاريخ وكذا تحارب قبائل كثيرة في ايامنا هذه . ومتى ارتقت الامَّة في الحضارة ازمها تقسيم الاعمال بين افرادها . فيختصُّ جانب منهم بالحرب وآخرون بما يتعلَّق بالسلم . والاوَّلون إمَّا ان ينقطعوا الى الحرب دون غيرها على الدوام وإمَّا ان ينقطعوا اليها حينًا من العمر . كذا نشأت الجيوش الثابتة والنظامات الدائمة وازدادت تحسُّنًا واتقانًا جيلاً فجيلاً حتى بلغت ما بلغت اليوم

والظاهر من تاريخ الممالك ان اقدم مملكة انشأت جيشًا وسنَّت للحرب والمحاربين نظامًا وميَّزت بينهم وبين سائر الاهالي هي مملكة مصر في زمان الفراعنة فقد جاء في اقدم احكامها ان دخل الدولة يقسم ثلثة اقسام متساوية فيعطى الملك منهُ قسمًا والكهنة آخر والجنود آخر . واعظم

من نظم الجند من الفراعنة هو رعمسيس الثاني المعروف عند مؤرخي اليونان القدماء باسم سيسوستريس وهو الذي كُشفت جثته المحنطة منذ زمان يسير وعُرضت في دار التحف ببولاق . فقد روى المؤرخون انهُ لما وُلد رعمسيس هذا (في القرن السادس عشر قبل المسيح) أخذ ابوهُ كل الذكور الذين وُلدوا يوم ولادتهِ في المملكة وربّاهم جميعًا وعلّمهم صناعة الحرب منذ نعومة اظفارهم ليكونوا قوّادًا في ملك ابنهِ متى شبَّ وتولّى زمام المملكة . فتمرّن رعمسيس على القتال منذ الصبوة وعلق الحرب من الصغر فاشتهر في محاربة العرب والليبيين وهو فتًى وعقد نيتهُ على الحروب والفتوحات واستعدادًا لذلك قسم المملكة الى ستٍّ وثلاثين ولايةً وانشأ جيشًا محاربًا وقطع لخيتهِ ارضًا يكفي ريعها لحاجتهم وحاجة اهلهم واولادهم . وقد ذكر المؤرخ ديودورس اليوناني ان هذا الجيش كان يشتمل على ٦٠٠ الف راجل و ٢٤ الف فارس و ٢٧ الف مركبة من مركبات القتال وكان اعمانهُ المار ذكرهم قوّادًا لهُ . وسنّ لهم رعمسيس نظامًا حربيًّا خاصًّا بهِ يمنع مقاصّة الجندي قصاصًا جسديًّا لما بهِ من الذل والهوان ويوجب معاقبتهُ معاقبة ادبيّة بما ينبّه شيمتهُ ونخوتهُ ولا يصغّر نفسهُ وذلك يدلّكَ على عظم اعتبارهِ للجند وبالتالي على علوّ مقام الجندي في زمانهِ . فان الشعب كان يومئذٍ يدين بطاعة ملكهِ حتى كان يعدُّ الملك الهًا حيًّا فيعبدهُ ويرى التشبُّه بهِ في القول والفكر والفعل فضيلةً يسمو بها

واضاف رعمسيس الى الجيش المذكور اسطولاً قويًّا وخرج من مصر قاصدًا اخضاع ممالك العالم باسرها فأخضع الحبشة اولاً ثم دوّخ كل ما وقع شرقيها من الممالك حتى بلغ نهر الكنج في الهند . ثم دار شمالاً فغربًا واكتسح بنجاب وبلاد التتر وسواحل بحر قزوين من جهة الشمال فاخترق سرماقية وداقية وتراقية وهي الروملي الحالية . وعبر بعد ذلك الى اسيا الصغرى فقهر الاشوريين ثم رجع الى مصر بعد غيبة تسع سنوات حيث قضى بقيّة عمرهِ في تحسين حال مملكتهِ وترقيتها . فاذا صحّ ما ذكرهُ المؤرخون وما لا يزال منقوشًا على الآثار الباقية من ايامهِ فلا ريب في انهُ حشد جيشًا جرّارًا حمل بهِ على البلدان البعيدة وفتح الفتوحات العظيمة وحارب الحروب الطويلة دون ان يعطل صناعة بلادهِ وزراعتها او ان يوقف نجاحها وتقدّمها . وذلك يدلُّ على ان ادارة البلاد وجندها كانتا في زمانهِ على درجة رفيعة من الضبط والنظام ممّا لا يتيسّر لغير الممالك المتقدّمة شوطًا بعيدًا في الحضارة والعمران

وكان سلاح المصريين قبل زمان التاريخ كسلاح غيرهم سهامًا وحرابًا وسيوفًا من الحجارة الصوّان كحجر الصوّان وغيرهِ ثم استبدلوها كغيرهم باسلحة النحاس المعروف بالبرونز . وكان اكثر الجنود اساورةً يرمون النبال بالقسيّ ويحاربون إمّا مشاةً او في مركبات . وكانت قوسهم اقصر

من طول القامة قليلاً وطول سهمها من ٣٤ الى ٣٤ قيراطاً يصنعونهُ من القصب ويريشونهُ بثلاث ريشات ووترها من العَقَب او الامعاء . وكان للرامي غير قوسهِ سيف او خنجر او عمود او فأس . فاما القوس فللرمي عن بعدٍ واما السيف او الفاس فللضرب عن كثب عند الالتحام . فهذا كان سلاح الرماة الهجومي واما سلاحهم الدفاعي فكان خوذةً ودرعاً من اللبد ولم يكن يلبس النحاس منهم الاَّ الملوك والاشراف ولا كان للرماة تروس لاعتراضها في طريق السهام الاَّ المحاربين في المركبات من الملوك والاشراف فانهُ كان لهم حمّال للتروس يعرضونها امامهم فيرمون من وراثها

وكان المشاة يقسمون بحسب سلاحهم الى رمّاحة وسيّافة وذوي نبابيت وذوي مفالج . وكان الرمّاحة يصطفون في مصفٍّ مربّع ملزوز والهجمون حاملين بايديهم اليمنى رماحاً طولها من خمس اقدام الى ست ذات اسنّة كبيرة مثلثة او كورق العشب في شكلها وبايديهم اليسرى تروساً من الخشب مكسوّة بجلود الثيران مجلّلة بشعرها وفيها حدبات من النحاس لتقويتها وهي في شكلها قائمة الزوايا من اسفلها مستديرة من اعلاها كالابواب المستديرة من الاعلى . وطول الترس منها طول نصف القامة وفي اعلاهُ ثقب ينظر الرامح منهُ . وكانت خوذهم من اللبد ايضاً ودروعهم من النحاس الرقيق او من اللبد المغشّى بسبور النحاس ولم يكونوا يلبسون على ارجلهم جراميق او نحوها ممّا يتّقى بهِ . والسيف المصري كان مقرّناً ذا حدّين طولهُ من ٣٠ الى ٣٦ قيراطاً يستدقّ من مقبضهِ الى رأسهِ

ويؤخذ ممّا تقدّم ان رعمسيس كان اشهر قوّاد المصريين واعظم ابطالهم . واشدُّ موقعةٍ واقعها في حروبهِ العديدة موقعة قادش على نهر العاصي في شمالي سورية اثناء حربهِ الهائلة مع الحثيين وقد وصفها شاعرهُ المصري الشهير بنتاور في قصيدةٍ رنانةٍ نُقِشَت اعظم اعتبارها عند المصريين مرّتين على صخور الاقصر ومرةً على جدار الكرنك وخُطّت على البيروس مراراً عديدة وهي من اشهر البقايا المصريّة . وقد ترجمها دو روجي الفرنسوي الى لغتهِ فشاعت منذ ذلك الحين

وفحواها ان الحثيين ارشوا رائد رعمسيس او كبير جواسيسهِ الذي يمشي امام الجيش دليلاً فكمنوا في بطن وادٍ واتفقوا مع الرائد على ان يخفي امر الكمين عن رعمسيس ويأتي بهِ الى قلعة قادش في الوادي الذي كمنوا فيهِ حتى اذا قرب منهم ثاروا بهِ واخذوهُ غيلةً . فأتى الرائد الى رعمسيس واخبرهُ عن حركات العدوّ خبراً ملفّقاً وخدعهُ تواطؤاً مع الحثيين . وللحال عقد رعمسيس مجلساً حربيّاً واصدر فيهِ الاوامر لفرق الجيش بالاماكن التي يذهبون اليها . فأمر الفرقة المسمّاة باسم الاله رع عندهم ان تقوم من الجنوب الى شاباطون لتخبط بالمجيرة الواقعة شرقي

قادش فتقاتل العدوّ عن جانبيه . وأمر فرقة الاله ست (ورجالها من مصر السفلى) ان يذهبوا الى ارنام ليكونوا قلب الجيش . وأمر نخبة المركبات الحربيّة ان تذهب بمعيته عن طريق الوادي الذي كان العدو كامنًا فيه على غير علم من المصريين مصدقًا قول الرائد انه مأمون يؤدي الى عدوة العاصي . وكان قصدهُ ان يعبر العاصي في مخاضة هناك والعدو مشتغلٌ بمحاربة الفرقتين المذكورتين ويأتي قلعة قادش من الشمال الغربي فيأخذها هجومًا . وأمر فرقة الاله عمون وما يتلوها من مستأجري الجيش ان تلاقيهُ في طريق أخرى الى قلعة قادش حسبما اوعز الرائد فتمدّهُ بقوّتها عند اللزوم . وامر فرقة الاله فتاح ان تبقى وراء الجناح الايسر من الجيش لتمدّهُ عند الحاجة . وبات الجنود تلك الليلة يستعدّون للحرب والكفاح ويسنّون السلاح ويصلحون العدد ويعدّون الاهبة . وكان الملك قد أمر حافظ اسودهِ ان يقطع الطعام عنها ليشتدّ بها الجوع فيزيد عنفها عند اطلاقها على الاعداء كما كانت عادتهُ . وقبل ان يلوح الفجر جلس الملك في هودج يقلّهُ اربعة وعشرون شابًّا من نقاية اولاد الشرفاء وطاف يتفقّد الجيش وقد حُمِلَت امامهُ تماثيل آلهة مصر واله الحرب وآلة النصر . فلما رآهُ الجيش مقبلاً خرّوا امامهُ سجّدًا وقبّلوا التراب بين يديهِ ولم يرفعوا رؤوسهم حتى احرق البخور وسكب السكائب امام آلهتهم . ثم امر فسار الجيش حسبما كان اوصاهم

فتقدّم المشاة ثم تلتهم صفوف المركبات تجرّ كل مركبة منها بحصانين على عجلتين وركب الملك مركبتهُ في مقدمتهم وكانت محلاّة بالذهب عمودها من الابنوس وعلى كلٍّ من جانبيها صندوق مرصّع بالدرر والحجارة الكريمة ليضع فيهِ قسيّهُ وسهامهُ وعلى كلّ من جوادي المركبة عدّة من الارجوان مرصّعة بالجواهر وعلى رأسيهما اكليلان مزيّنان بريش النعام

وكان الملك لابسًا درعًا من الزرد ومنطقًا فوقها بمنطقة من الارجوان وعلى رأسهِ اكليل مصر العليا والسفلى وقد وقف وراءهُ سائق مركبتهِ حاملاً الترس بيمينهِ لوقاية الملك وممسكًا العنان بيسارهِ لادارة الخيل . وكان وراء مركبة الملك مركبة مطبقة ذات اربع عجلات قد وضعت الاسود فيها . فسار الملك وتبعتهُ المركبات صفوفًا وسار دليلهُ الخائن بين يديهِ تتقدّمهم فرقة الاله رع بقسيّها وسهامها لتستطلع احوال الطريق وما زالوا سائرين حتى اتوا بطن وادٍ مفتوح يمنة ويسرة وتحيط بهِ الجبال من سائر جهاتهِ . وبيناهم على تلك الحال اذا اصوات ابواقٍ قد سدّت الفضاء فاجفل الملك وتناول فأسهُ من منطقتهِ وقال ما هذه الاصوات . قال لهُ السائق ان الاعداء قد دهمتنا يا مولاي فهذه اصوات ابواقهم . فنادى الملك اطلقوا الاسود والحال سمع اصوات القتال ورأى طليعتهُ قد تمزّقت كل ممزّق وولّت الادبار ناكصةً

على اعقابها

ولما أطلقت الاسود ورأت ما كان وثبت امام مركبة الملك وزمجرت وازبأرّت وسارت مركبة الملك في اثرها نحو الهاربين . فصاح فيهم الملك فلم يقفوا لان الاعداء كانت على اثرهم تقتل فيهم قتلاً ذريعاً فتولاّهم الرعب وفرّوا لا يسمعون صياحاً ولا يلوون على احد . واخفى الدليل عن عيني الملك ولم يعد يقف احدٌ له على اثر على حين كانت الخاطر تتزايد والاعداء تتقاطر من كل فجّ حتى ضاقت الارض بهم وصمّت الآذان من اصوات صراخهم ودمدمة مركباتهم التي بلغت فيما ذكر الفين وخمسمائة مركبة

فصاح الملك صيحة دوّت لها الجبال والفيعان وصاح حرسهُ صيحة من مركباتهم فوقف النازلون مذعورين ولكنهم لم يستطيعوا صبرًا على طعن العدوّ فانهزموا شرّ هزيمة والحال سمع الملك صوت نداء الاعداء من ورائهِ مجاوب نداءهم من امامهِ فالتفت واذا مركباتهم قد هجمت على جيشهِ من شِعب هناك فحطّمتهم وفصلت ما بينهُ وبينهم قبل ان يتيسّر لهُ الانضمام اليهم فاصبح محصورًا بين مركبات الاعداء يرى امامهُ رجالهُ النازلين والعدو يقتلهم تقتيلاً ويسمع وراءهُ صياح الابطال وصلصلة السيوف وأنين الجرحى والمائتين

واشتبك القتال واطبق جيش الحثيين وحلفائهم على جيش المصريين فتناول الملك قوسهُ وجعل يرمي الاعداء بالسهام وحامل ترسهِ يقيهِ بالترس حتى تكاثر الاعداء عليهما وتطايرت السهام اليهما من كل ناحية ولم يعد السائق يملك عن الضرب والطعن للذب عن نفسهِ فالقى الترس وارخى العنان واقتحم العدو وبقي الملك وحدهُ وقد فارقهُ الانصار والاعوان فتناول فاسهُ وهجم بها على الاعداء والاساد تتقدمهُ فترعب الخيول وتفرق الفرسان . وبينما هو في تلك الضيقة اتاهُ المدد وحمل جيش المصريين على جيش الحثيين فكسروهم وانثنى الملك عليهم بفاسهِ حتى هزمهم من طريقهِ وانضمّ الى جيشهِ . ثم تبع الحثيين وانخن فيهم حتى ردّهم على اعقابهم الى نهر العاصي وبحيرة قادش . ودام القتال بين الفريقين الى ان ارخى الليل سدولهُ ففرّق بينهما . وفي اليوم التالي عاد الى القتال وخرج الحثيون في مركباتهم الالفين والخمسماية واصطفوا في بقعة وراء المدينة . وارسلوا فرقة لتسد على المصريين باب الوادي وفرقةً أخرى لتهاجمهم من وادٍ يعترض مسيرهم . فلما قام رعمسيس بجيشهِ واشتبك بينهما القتال واشتد الصدام والالتحام واستقتل الحثيون ذلك اليوم وحاربوا حربًا تشيب لها الاطفال وترتعد من هولها فرائص الابطال الاّ انهم انهزموا بعد ما قتل جماعة من اشهر ابطالهم واشرافهم ومن جملتهم مؤرخ ملك الحثيين وكان من ارباب السيف والقلم . وفتح المصريون قلعة قادش عنوة وامتلكوها بحد السيف بعد ما كادت الدائرة تدور

عليهم ولاشك رعمسيس ان يقع اسيرًا في يد اعدائهم

ولمَّا مات رعمسيس جعلت حماسة المصريين تخمد وميلهم الى الحرب يضعف وحبهم بالسلم يزيد حتى زالت سطوتهم واخمت آثار قوتهم فامست مصر محطًّا لرحال الفاتحين وميدانًا تتسابق اليه اقدام المقاتلين واشتهر بعدهم الاشوريون فالبابليون فالماديون فالفرس . اما الاشوريون والبابليون فلم يمتازا بنظام خاص في الحرب فجيشاهما كانا كجيش المصريين كثيري المشاة قليلي الفرسان والمركبات الَّا انهُ كان لفرسانهما ومركباتهما شأن يذكر . وكانت اسلحتهما السيف كسيف المصريين يتقلدونهُ على اليسار على موازاة المنطقة . والقسي والحراب والمزاريق والرماح والتروس المستديرة الحدَّبة والخوذ المخروطية ذات المغافر لتقنيع العنق من قفاها وجانبيها والدروع الكتانية التي حبك فيها الكتان طاقًا على طاق وغرِّي بالفراء لتتصلَّب فلا يقطعها الحسام . ولهما مواقع كثيرة مشهورة اضربنا عن ذكرها اكتفاء بما ورد عن بعضها في التوراة فلتراجع هناك . وكذلك جيش الاسرائيليين وحروبهُ واسلحتهُ وكلها موصوفة في اماكن عديدة من التوراة

واما الفرس فخالفوا في نظامهم الحربي سائر من تقدَّمهم من الشعوب وانشأوا جيشًا خاضعًا لنظامات وقوانين شبيهًا بجيوش هذه الايام . واصل الفرس قوم من الرُّحَّل المفطورين على حب الحرب والكفاح وكان اكثر جيشهم في بداءة امرهِ من الفرسان الذين فاقوا بخفتهم ورشاقتهم وسرعة حركاتهم . واعظم ملوكهم كورش الكبير وبلغت مملكتهم ذروة زهوتها في ايام داريوس هستاسبس الذي ضاهى كورش في شجاعتهِ واتساع فتوحاتهِ وفاق اعظم ملوك الفرس في احكام سياستهِ . ويظن قوم ان كورش (وآخرون ان داريوس المذكور) هو واضع نظام عسكر الفرس الذي فصَّلهُ زنفون وغيرهُ من المؤرخين وذلك ان قسم المملكة الى عشرين ولاية او اكثر وينشأ في كل ولاية جيش فارسي ومادي بعضهُ لحماية القلاع والمدن الحصينة وبعضهُ للمحافظة على راحة الاهالي وان تسلم قيادة الجيش في كل ولاية لقائد يكون مسئولاً بانشائهِ وحركاتهِ واما رواتبهُ ولوازمهُ فيتولى امرها مرزبان الولاية وهو واليها السياسي والاداري . فهذا كان عسكر الفرس النظامي وجيشهم الثابت والغرض الاصلي منهُ صيانة مملكتهم الواسعة الاطراف واخماد ما ينشب فيها من الثورات والفتن ودفع هجمات الاعداء وكان الملك اذا اراد فتح حرب على مملكة اخرى يحشد الجيوش من اطراف المملكة ويضمها الى عسكرهِ النظامي فيقضي على الاحتشاد سنين حتى يجتمع تحت رايتهِ الوف وملايين كالجيش الذي حشدهُ زركسيس الاوَّل لمحاربة اليونان والجيش الذي حشدهُ داريوس الثالث لمحاربة الاسكندر كما سيجيء

اما اسلحة الفرس فسيذكر اشهرها في اثناء المواقع التي نرويها عنهم وقد اخترنا من هذه

المواقع خمساً موقعتين انتصروا فيهما وهما موقعة ساردس وموقعة كميز مع المصريين وثلاثاً خُذِلوا فيها وكانت اخيرتها القاضية على استقلال مملكة الفرس القديمة وهي مواقع مشهورة لهم مع اليونان وسيأتي ذكرها عند الكلام على جيش اليونان والمكدونيين

قلنا ان اشهر ملوك الفرس المحاربين هو مؤسس مملكتهم كورش الكبير. وكان كورش في اوّل امرهِ ملكاً على عيلام ثم قهر مملكة مادي وفارس وبابل وتملّك عليها كما وُجِد في الآثار التي كُشِفَت حديثاً. وكانت مملكة ليديا موالية لمملكة مادي وكان ملكها يومئذٍ كريسُس ويُعرَف بقارون وكان اغنى ملوك زمانهِ حتى صار يُضرَب المثل بغناهُ. والظاهر ان كورش شنّ الغارة على مملكتهِ بعدما اخضع بلاد فارس. فلما سمع كريسُس بقدومهِ ابتدرهُ بالاحتشاد واعداد الاهبة واستدعى اعوانهُ من القبائل المجاورة وبعث الى مصر وبابل يستعين بهما عليهِ. ثم ذهب في قومهِ للاقائهِ وجعل يغزو كبدوكية فلما سمع كورش بقدومهِ جدّ اليهِ المسير وقاتلهُ قتالاً شديداً طول نهارهِ حتى خيّم الظلام ولم ينَل احدٌ من الفريقين منالاً. وفي الغد لم يستأنفا القتال ولكن كريسُس رأى ان جيش العدو اكثر من جيشهِ عَدَدًا وعُدَدًا فقال لقومهِ اذا استأنفنا القتال قهرنا العدو لزيادة عددهِ فاري من الصواب ان نعود الى الاوطان ونزيد الاعداد والاحتشاد ونستنفر الجنود من كل اطراف البلاد ومن محالفينا في مصر وبابل وسبرطه ببلاد اليونان. وقد خبر العدو قوتنا وعلم ان لا قِبَل لهُ بغلبتنا فيهاب ان يتبعنا اذا قفلنا الى بلادنا. وللحال امر فعادت الجنود الى ساردِس عاصمة مملكتهِ حيث اطلق اكثر عسكرهِ على ان يعودوا في الربيع القابل فتفرقوا. واما كورش فجدّ في اثرهِ من حيث لا يدري فما شعر كريسُس الاّ والعدو قد باغتهُ فجمع من تيسّر من الجنود وخرج للاقائهِ بجيش اقلّ من جيشهِ. وكان اعتماد كريسُس على فرسانهِ لحسن انتظامهم وشدّة بأسهم فرأى كورش ان يحتال عليهم فجعل جمالهُ في مقدّمة جيشهِ واستنفرها ففزعت منها خيول فرسان كريسُس حتى تعذّر عليهم المقاتلة عن ظهورها فترجّلوا وقاتلوا مشاةً فانهزموا من امام الناس والتجأوا الى مدينتهم ساردس وكانت قلعتها على غاية الحصانة مبنيّة على شاهقٍ يتعذّر تسلّقهُ ولذلك لم يطمع احدٌ في فتحها فهاجمها كورش بجيشهِ فعجز عن فتحها فأحدق بها ليذلّلها جوعًا بطول الحصار. ولكن لم يطُل الحصار حتى اهتدى الى طريق خفيّ يؤدّي اليها. وذلك ان خوذة احد حرّاس المدينة وقعت عن الشاهق فنزل في ممرّ سرّي وتناولها وعاد منهُ الى المدينة. واتفق ان جنديًا من جنود كورش رآهُ فاذاع خبر ذلك الممرّ بين رفاقهِ فدخلوا المدينة على حين غفلةٍ واعملوا السيف في اهلها واوشكوا ان يقتلوا ملكها مع من قتلوهُ ولكن بعض مطارديهِ عرفوهُ وأتوا بهِ الى كورش. فعاملهُ كورش بالغلظة والقسوة

وقيل انهُ أمر بحرقهِ فوضعوهُ على الحطب وهُمُّوا ان يضرموا النار فصاح كريسُس قائلاً "صولون . صولون". فقال كورش وما تريد بذلك . قال لقد صدق صولون الحكيم فاني لمَّا لمحتهُ ذات يومٍ لانهُ لم يَقُل اني اسعد الناس . قال لا يحسب الانسان سعيدًا حتى يبلغ اجلهُ . فتعجَّب كورش من كلامهِ وعفا عنهُ وأحسن اليهِ واكرم مثواهُ ففضى كريسُس بقيَّة ايامهِ في بيت كورش خلاًّ وفيًّا لهُ ومشيرًا مخلصًا لابنهِ من بعدهِ

اما قصة كريسُس وصولون فقد ارتاب بعضهم في صحتها . وتفصيلها ان صولون المشترع اليوناني اشتهر بحكمتهِ اشتهارًا عظيمًا كما اشتهر كريسُس بغناهُ ووفرة ذهبهِ . فلما بلغ خبرهُ مسامع كريسُس ارسل يستدعيهِ الى ليديا مملكتهِ ليراهُ وكان صولون قد خرج من اثينا بعد ان تمَّ شرائعهُ فيها لئلاَّ يضطرَّهُ الاثينيون الى تغييرها واقام في مصر . فلما بلغهُ طلب كريسُس اتى الى عاصمتهِ ساردس وكانت افخر مدن الدنيا في زمانها غاصَّة بالمباني الفخيمة والحدائق النضرة وقلعتها مبنيَّة على قمَّة الشاهق المشار اليهِ آنفًا محاطة بثلثة اسوار وقصر الملك وبيت مالهِ فيها . وكان الملك يقيم في قصرهِ محفوفًا بامرائهِ واشراف رجالهِ وكلهم بالحلل الفاخرة والجواهر الكثيرة . فلمَّا رآهم صولون ظنَّ كلاًّ منهم ملكًا لبهاء ملابسهِ وعلوّ مهابتهِ واعترتهُ الدهشة ممَّا رأى من جمال المدينة وعظمتها وبهائها لان كريسس لم يترك شيئًا من المحاسن والبدائع والغرائب الاَّ احضرهُ اليها

ولمَّا مثل بين يدي الملك رآهُ مرتديًا بافخر الحال واثمنها محفوفًا بكل انواع المحاسن والنفائس فلم يكترث لعظمتهِ وبهاء عرشهِ وما هو فيهِ من الابَّهة وعظمة الشان خلافًا لما كان الملك يتوقَّعهُ منهُ فساء الملك ذلك لانهُ كان يحبُّ ان يعجب الحكماء والنبهاء مغناهُ ويطنبوا بوصفهِ . فقال لعلَّهُ اذا رأى خزائني يعجب بها فأمر حشمهُ ان يطوفوا بهِ القصر ويروهُ قاعاتهِ الرحيبة واثاثهُ النفيس وما فيهِ من الصور الثمينة وتماثيل الذهب والفضة والعاج وخزائن الاموال والجواهر والآنية الذهبيَّة والفضيَّة

فرأى صولون كل ذلك ولم يعجب بهِ . فقال لهُ الملك قد اتَّصل بنا صيتك وخبر حكمتك وطول اسفارك فهات اخبرنا مَن هو اسعد انسانٍ رأيتهُ في حياتك . قال الحكيم هو تلُوس الاثيني . فاغتاظ الملك من جوابهِ ولكنهُ كظم غيظهُ وقال ومَن هو تلُوس هذا . قال هو رجل عاش في بلادٍ شرائعها عادلة وولد اولادًا برُّوا بهِ حين كبروا ولم يمُتْ حتى رآهم قد تزوَّجوا وولدوا اولادًا . وبعد ان عاش سعيدًا مات شريفًا وهو يدافع عن وطنهِ ودُفن مكرَّمًا من الجميع

(ستأتي البقية)